

220995 - يتهمونني بالطيب إلى حد السذاجة

السؤال

يحزنني كثيراً أن كثيراً من أعرفهم أخبروني أنني لست فطناً، وأنني لا يعتمد علي، وأنني طيب إلى درجة السذاجة، شعور مؤلم أن يسمع الإنسان كلاماً موجعاً مثل هذا، خاصة من أقرب الناس لي، علماً أنني - ولله الحمد - وهبني الله قدرات عظيمة، مثل البقاء في الكلام، وحسن التصرف، وتولي المسؤولية بكل حنكة وحكمة، والنباهة، والفطنة. فأريد إظهار قدراتي لدى كل الناس أياً كانوا بنية أن يحترموني ويقدروها مكانتي، وأن يعلموا بأنني حذق ولماح وأستحق التقدير، ولست بغبي وغافل، فهل هذا من التفاخر أو الكبر المذموم شرعاً؟

علماً أنني أستعملها كوسيلة رد على نظرتهم الاحتقارية الاستصغرارية لذاتي.

لن تستطعوا أن تخيلوا مدى عمق الجرح الذي أصابني بعد سماعي لهذه الأحاديث الموجعة التي تتكرر علي، وكأنني لا قيمة ولا مكانة لي. أصبحت سجين نفسي.

هل أظهر قدراتي ليعرفوا من أنا فعلاً، أم لا أظهرها ظناً بأن مقصدها التكبر والتفاخر فتحبط أعمالي؟
أرجو الإجابة على سؤالي الذي أرهق تفكيري، وجعلني سليماً في حياتي التي تدهورت.

الإجابة المفصلة

يؤلمنا أن نسمع كثيراً من صغار الشباب هذه الشكایة المتكررة، التي تدل على اهتزاز الثقة بالنفس، والتأثير السريع والبالغ فيه بانتقاد الآخرين، إلى درجة الوقوع في الاكتئاب والإحباط والرغبة عن الدنيا.

ومثل هذه المشاعر لا يعالجها - في رأينا - تكفل إظهار قدراتك في غير محلها، وإنما يعالجها أمور مهمة، نختصرها فيما يلي:
أولاً:

أن تعزز ثقتك بنفسك، فالواثق لا تؤثر فيه الكلمات الطائشة التي تصدر عن الحاقدين أو الحاسدين أو الصغار الأغار، وإنما إذا وُجِّهَ إليه الانتقاد من أحد العقلاة الحكماء راجع نفسه، واستفاد من بيان النقص الذي عنده، وفي الوقت نفسه لم تهتز ثقته بنفسه في جميع الجوانب الأخرى الإيجابية والإبداعية في شخصيته، ولم يتأثر نجاحه في حياته من الجهات الأخرى. هذه سمة الواثق، يستفيد من النقد الصحيح، ويعرض عن النقد السلبي المتسرع، وفي جميع الأحوال لا تتأثر شخصيته عامة بما سمعه، وإنما يسعى دائماً للأفضل مع الاعتزاز والبناء على ما حققه، من غير هدم ولا إلغاء.

ثانياً:

أن تدرك أن الطعن والتنقص من قبل الآخرين له بداية وليس له نهاية، فالآذى في الناس كثير، ودواجهه النفسية المريضة أكثر، ولو وقف كل منا عند طعن كل جاهل فينا لمتناهما وغماً، ولما تقدمنا خطوة واحدة في سبيل النجاح في حياتنا، وإذا كان الله جل جلاله، وعز شأنه، لم يسلم من ألسنة البشر بالسب والأذى، فهل تريد ذلك أنت، وأنت العبد الفقير إلى الله سبحانه. قال صلى الله عليه وسلم: (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) رواه البخاري (7378)، ومسلم (2804).

يقول ابن مفلح المقدسي رحمه الله : " قال موسى صلوات الله عليه : يا رب ! إن الناس يقولون في ما ليس في ! فأوحى الله إليه : يا موسى : لم أجعل ذلك لنفسي ، فكيف أجعله لك ".
انتهى من " الآداب الشرعية " (8-1/7).

والفائدة من هذا الخبر أن لا يكون نقد الحساد ، وطعن المغرضين ، سببا في فتور المسلم عن نجاحه وتقديمه ، ولا سببا في حبوط همته وضعف عزيمته ، وليذكر دائما أن الله عز وجل والملائكة والرسل والأنباء لم يسلموا من الشتم والأذى .

ثالثا :

كما ننصحك أن تشغل بتحقيق النجاحات في علمك وشخصك ، فتحرص على تطوير مهاراتك ، والالتحاق بالدورات النافعة التي تعلم العلوم الشرعية ، أو علوم الحاسوب ، أو الرياضيات المفيدة ، فضلا عن النجاح في دراستك والتفوق فيها ، كل ذلك سيكون الأفضل لك في الدنيا والآخرة ، وسيشغلك عن القيل والقال الذي تسبب لك بالأذى ، بل هو الذي سيثبت بطريقة عملية : مدى نجاحك ، وتفوتك ، وأنك لست كالذي يظنونه بك .

فشأن المسلم دائما هو امثال وصية النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ حَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْعِفِ ، وَفِي كُلِّ حَيْرٍ اخْرِصْ عَلَى مَا يَنْقَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) رواه مسلم (2664) .

رابعا :

أما سعيك في إظهار القدرات والمهارات فهذا فيه تفصيل :

إن كان الموقف يتطلب منك إظهار كفاءتك في حسن التصرف ، أو الحكمة في القول ، أو لباقه الحديث ، ونحو ذلك ، فلا حرج عليك في اتخاذ الموقف المناسب ، بل هذا هو الواجب عليك ، ليس لأجل إقناع الناس بما عندك ، وإنما لأن الظرف يقتضي ذلك ، ولأن الصواب في هذا المقام أن تفعل ذلك .

أما إذا لم يكن هناك ظرف ولا مناسبة أصلا ، ولا وجد الحدث الذي يحتاج منك التصرف بما ذكرته في سؤالك ، فلا ينبغي لك تكليف أقوال أو أفعال لتثبت للناس ما في شخصيتك ، فإن فعلت ذلك وقعت في التنطع المذموم ، ودللت على ضعف ثقتك بنفسك ، وتسببت - في الوقت نفسه - بتنفير من حولك بسبب هذا التصرف في غير مقامه المناسب .
وللمزيد ننصح بمراجعةك الفتوى الآتية : (115129) ، (211221) .

والله أعلم .